تأليف
الدكتور محمد عبد الله دراز
عضو جماعة كبار العلماء

* ملخص لرسالته الرئيسية لنيل درجة الدكتوراه من فرنسا *

مختصر
دستور الأخلاق في القرآن
La Morale du Koran

دراسة للأخلاق النظرية والعملية في القرآن الكريم

مقارنة

بالنظريات الأخلاقية القديمة والحديثة

إعداد المختصر
(تلخيص وإعادة صياغة وإعادة ترجمة)
محمد عبد العظيم علي

تقديم
د. مصطفى حلمي
الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دار الدعوة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولي
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع: ٩٦/٩٠١١
الترقيم الدولي: 977-253-113-5

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي ٢ش منشا محرم بك - الإسكندرية
ت ٠ ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨
فاكس: ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة: ١٧ ش توفيق الهلالي - التعاون - فيصل
ت: ٣٨٣٢٧٤٧

درجة الدكتوراه فى الآداب بمرتبة الشرف الأولى

نالها الدكتور محمد عبد الله دراز ، برسالتين وضعهما
باللغة الفرنسية ونوقشتا فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ بفرنسا
وقد طبعت الرسالتان باللغة الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٥٠.

الأولى- الرسالة الرئيسية La Morale du Koran

وقام بالتعريب والتحقيق والتعليق لأصل الرسالة الدكتور عبد الصبور شاهين
ونشرت بعنوان " دستور الأخلاق فى القرآن" عام ١٩٧٣ طبعة أولى بمعرفة دار
البحوث العلمية - الكويت ، ومؤسسة الرسالة - بيروت ، وتتضمن:
فى القسم الأول : دستور الأخلاق النظرية فى القرآن ،
وفى القسم الثانى: دستور الأخلاق العملية فى القرآن .

وقد قام باعداد التلخيص وإعادة الصياغة وإعادة الترجمة
محمد عبد العظيم على
(وهى التى بين يدى القارئ الكريم فى هذا المجلد).

الثانية- الرسالة الفرعية Initiation au Koran

قام بتعريبها الأستاذ / محمد عبد العظيم على
ونشرت بعنوان " مدخل إلى القرآن الكريم" عام ١٩٧١ طبعة أولى بمعرفة دار
القرآن الكريم - الكويت ، ودار القلم - الكويت.

وقد لخصها الأستاذ / **محمد عبد العظيم على**
ونشرت ملخصة بعنوان : مختصر مدخل إلى القرآن الكريم.

راجع ترجمة أصل الرسالتين دكتور السيد محمد بدوى

إعداد رسالة الدكتوراه

استغرق إعداد هذه الرسالة ست سنوات من حياة عالمنا الجليل الاستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز . إذ شرع فيها عام ١٩٤١ ، ويضاف الى هذه السنوات ، خمس سنوات قبلها قضاها للتحضير لدرجة الليسانس ودراسة الفلسفة و المنطق والاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع على ايدى اساتذة السوربون والكوليج دى فرانس . فانعكس اثر هذا التكوين الرصين على رسالته .

وكان قد كتبها وهو فى سن النضج فى حوالى الخمسين من عمره بعد أن تخرج فى الأزهر وعمل به كأستاذ مدة طويلة ، وأجاد اللغة الفرنسية ، فكان عالما كبيرا يكتب دراسة، لا طالبا مبتدئاً يتعلم كيف يكتب .

فلم يكتف بعرض النظام الاخلاقى القرآنى منفردا ، وإنما قارنه بآراء المفكرين والفلاسفة وعلماء الغرب فى اطار النظريات السائدة عندهم من جهة ، وكذلك بآراء العلماء والاخلاقيين والفقهاء المسلمين من جهة أخرى ، وفصّل هذه الآراء وبيّن ما قد يكون فيها من قصور أو خطأ ، ثم عقب ذلك ببسط كمال مبادئ الأخلاق المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى عرض شامل وكامل .

وتمت مناقشة الرسالة امام لجنة مكونة من خمسة من أساتذة السوربون ، والكوليج دى فرانس فى ١٩٤٧/١٢/١٥ . نال بها المؤلف درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى .

وقد توفى المغفور له الدكتور محمد عبدالله دراز فى يناير ١٩٥٨ . رحمه الله رحمة واسعة . واجزل له العطاء على ما قدمه لخدمة الاسلام والمسلمين.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لكتاب المختصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد ،

فإن كتاب ((دستور الأخلاق فى القرآن)) للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله – والذى نضع بين أيدى القراء الكرام مختصره بقلم الاستاذ محمد عبد العظيم على ، يُعدّ من أمهات الكتب فى علم الأخلاق ، بل الكتاب الأم فى الأخلاق الاسلامية لأنه سدّ فراغا فى هذا اللون الخاص من الثقافة الرفيعة سواء فى مكتبة علماء الغرب بسبب (صمتهم المطبق عن علم الأخلاق فى القرآن أو فى المكتبة الإسلامية التى عرفت نوعين من التعاليم الأخلاقية : إما نصائح عملية وإما وصفا لطبيعة النفس وملكاتها) ، إذ قام المؤلف رحمه الله تعالى باستخلاص الشريعة الاخلاقية من القرآن فى مجموعه [1] .

ولمع اسم الدكتور دراز فى قلب باريس وفى أعرق جامعة بفرنسا ، فلم تُزِغ بصره أضواء باريس ، ولم تفتنه ثقافة أوروبا ، فقد عصمته ثقافته الإسلامية بقلعتها الصلبة أن تنفذ إليها السهام ، بل إنه – رحمه الله وأجزل مثوبته – قام وحده بغزو ثقافى مضاد للثقافة الأوروبية فى عقر دارها .

فقد قدّم باجتهاده الخاص بالآيات القرآنية المتصلة بعلم الأخلاق فى أرقى إطار يتقبله الفكر الغربى بفروعه الثقافية المتنوعة – لا سيما النفس والأخلاق والتربية والاجتماع.. ولا يسع القارئ بعد استيعاب أدلته والسير مع منطقه الهادئ الرزين الذى يخاطب العقل مقدّماً الدليل تلو الدليل – لا يسعه إلا الدهشة المشوبة بالإعجاب .. إذ يكتشف إعجازاً للقرآن لم نكن نعرفه من قبل – وهو الإعجاز فى مجال علم الأخلاق – فلا نملك إلا الإقرار والاعتراف بأنه حقا وصدقاً من لدن عليم خبير .

وربما لم يكن المؤلف يدرى حينذاك أنه يقدم أيضاً أعظم هدية لأمته الإسلامية – وهى فى أشد الحاجة اليها الآن اكثر من اى وقت مضى – لانقاذها من الأضاليل التى تبغى سلخها من هويتها ووضعها مع قافلة التبعية الذليلة ، باسم ألفاظ جوفاء مزورة كالتنوير

---

[1] مختصر مقدمة المؤلف ص ١.

وإن قام بعض علمائنا بجهد مشكور لاستكمال هذا النقص ولكنهم لم يطلعوا على رسالة الدكتور دراز – لأنها لم تكن قد ترجمت بعد – نذكر منهم الدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور أبو ليل الطويل والشيخ نديم الجسر والشيخ البيصار والأستاذ أحمد أمين وغيرهم.

وحرية الثقافة والفكر،بينما هى خير أمة أُخرجت للناس إنْ أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وآمنت بالله !

لقد عاش الدكتور دراز عمره مع القرآن الكريم ، واغترف من منابع الثقافة الغربية ماأهله لتوجيه الخطاب الى العقلية الأوروبية بما تفهمه وتقدره ، فقام بتحليل فلسفاتهم الأخلاقية وفضح ثغراتها – لأنها إفراز للذهن البشرى الذى جُبل على النقص مهما أوتى من مواهب الذكاء والعبقرية – وهاهى مذاهب الفلاسفة تتهاوى واحداً وراء الآخر أمام النسق الأخلاقى المتكامل للقرآن الكريم الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ويقصد بالأخلاق بالمفهوم الدارج محاسن الاخلاق والتمييز بينها وبين مساوئها ، ولكن الأخلاق كعلم – أو فرع من فروع الفلسفة – لها تعريف خاص أوسع مدلولا واكثر تشعباً : فان الأخلاق (علم معيارى يدرس ما ينبغى أن يكون عليه السلوك) . وهو بهذا التعريف (أضيق مجالاً من علم النفس من حيث أنه ينصب على دراسة السلوك الانسانى الذى يصدر عن عقل درّاك وإرادة حرة ..)[1] .

ونضيف إليه التعريف بالمثل العليا لأنها السماء التى يدور فى فلكها علم الاخلاق . (فان المثل العليا فى الاخلاق انسانية او ينبغى أن تكون إنسانية عامة لا يحدها زمان و لامكان ، ومطلقة غير مشروطة بنتائجها وآثارها) [2] .

وقد تأرجحت أشهر المذاهب فى العصر الحديث بين النفعية اللذية (بلْ بانجلترا) والعملية البرجماتية (وليم جيمس بأمريكا) ، وبين المثالية كأخلاق الضمير(باطلر) وأخلاق الواجب (كانت) ، وغيرها من المذاهب المتطاحنة ، فصورّها جوستاف لوبون (بالفوضى العميقة) ناقلاً وصف مونتبيه (وإليك أيضاً الأخلاق التلذاذية والأخلاق النفعية .. وإليك .. وإليك فالأمر هو "ضوضاء أدمغة ") [3] .

---

[1] ص ٢١ من مقدمة كتاب (المجمل فى تاريخ الأخلاق ، سدجويك ، بقلم د/ توفيق الطويل – دار نشر الثقافة بالاسكندرية سنة ١٩٤٩م.

[2] نفسه ص ٣٥ وشذ عن هذا التعريف المذهب الاجتماعى من وضع دوركايم وأوجست كونت إذ هبطا بقيم الأخلاق العليا المطلقة ، وزعما انها مجرد (عادات اجتماعية) وأطلقا على علم الأخلاق (علم العادات الاجتماعية).

[3] حياة الحقائق ، جوستاف لوبون ص ١٠٨.

وهنا يتضح للدارس المستوعب لآراء الدكتور دراز أنه تفوّق على أقرانه من العلماء والفلاسفة فان كان علم وظائف الأعضاء والتشريح يُعنى بالبدن ، فان علم الاخلاق - وفق نظرة عالمنا الكبير - قد وسّع دائرته وطوّع قضاياه ووصفها فى مجموعة متماسكة تشمل تشريح العقل والقلب والنفس والإرادة الإنسانية ، جاعلاً من معرفتنا بها أدوات ضرورية لتنمية قدراتنا للسيطرة الواعية على سلوكنا ومقاومة الانسياب التلقائى لصدى الأحداث والتجارب والابتلاءات التى نمر بها طوال حياتنا !

وإلا فتأمل معى بعض كلماته وهو يكتب بحرارة (.. أعكف على الفضائل بدافع من رغبتى فى اكتساب الصفات النفسية المتينة ، نقاء قلبى ونور عقلى وقوة إرادتى..) [1] .

ولعل من أبرز الحقائق التى أراد المؤلف منا أن نعيها معه لنفيد منها ، ان القرآن الكريم يوجّه خطابه الى الانسان الحى الواقعى بفضائله ورذائله ، بقوته وضعفه ، محيطا بكل ما يكتنف حياته من صعاب وعراقيل تعوقه عن تحقيق الحياة الفاضلة ، وفى مقدمتها الصراع بين هواتف الشيطان ونوازع النفس الأمارة بالسوء ، وبين الروح العلوية التى نُفخت فيه فجعلته يتطلع الى الارتقاء الروحى والسمو الأخلاقى ، وكأنه يود التخلّص من الهيكل الجسمانى الذى يحبسه عن الانطلاق وراء اللا نهائى .

وبحسب تعريفه عن الانسان - ككائن أخلاقى - (كما أنه ناقص فهو فى نفس الوقت قابل لاكتساب الكمال عن طريق الجهد الوارد فى تعريف الايمان ذاته بقوله تعالى ﴿إنما المؤمنون[2] الذين آمنوا .. وجاهدوا .. أولئك هم الصادقون - الحجرات ١٢ ﴾ ويتابع فكرة التدرج فى التقديرات الأخلاقية فى القرآن الكريم بدءاً من طلب فعل (الخير) دون زيادة الى الترقى لبلوغ مستوى الكمال الى مالا نهاية .. متمثلاً فى التضحية بكل شئ نفيس - حتى النفس- من اجل القيمة العليا الأغلى من الحياة حيث حققه الصحابة - كأوّل تطبيق فى حياة الأمة - فى موقعة بدر الكبرى .

كذلك نجد الحل لمشكلاتنا الحالية المعقدة وفى بؤرتها - الأزمة الخلقية - نجده فى نداء الدكتور دراز بكتابه منذ نحو نصف قرن ، إذ يبرهن عن توافق الأعمال مع الشرع ، ومؤكداً أن الاخلاق هى روح الشريعة التى من دواعى الفخر بها انها تقيم مجتمعاً سعيداً وقوياً ومتضامناً ، فالإسلام وسط واعتدال بين شريعة الخوف وشريعة الحب .

---

[1] أنظر الفصل الرابع - (النية والدوافع).

[2] الفصل الخامس - (الجهد).

وما أبرعه عندما يدمج بوعي وعلم قائم على البرهان ، يدمج شرط (الأخلاقية) بالايمان ، ويعرفه بأن (يقبل المرء مختاراً جميع أوامر الشريعة بخضوع وبلا تردد) (النساء ٦٥) [1]

ثم يكتب هذا التوجيه الذى يستحق بان يُكتب بأحرف من نور (وخلاصة القول فان فكرة طاعة الله عز وجل لا تخلو من الاعتقاد بأن أوامره هى أحكم الوسائل لتحقيق أعظم الخير للإنسانية وللكون كله)[2] .

هذا هو التقويم الأولى للكتاب حاولت فيه جاهداً الالتزام بالموضوعية ، ثم طغى علىّ الانفعال الوجدانى الشخصى فأحببت إضافته أيضاً استكمالا للتعريف بالكتاب ، لأنه يتضمن جاذبية خاصة كالمغناطيس ، تشدك اليه ، وتغمرك عند قراءته دوافع قوية للعمل بإرشاداته المخلصة.

لاتفسيرلهذه الجاذبية إلا روح الايمان والإخلاص لمؤلفه الذى يرسم لك لوحات جميلة بفصول الكتاب – بالنص والعقل والعاطفة – بما يمتعك ويسحرك فتنقاد معه برفق الى الروح الشفافة لإنسان عاشق للحق والخير والعدل ، ويريدها لبنى آدم جميعا .

اللهم اجزه عن الاسلام والمسلمين والانسانية خيرالجزاء

* * *

ويعرض فى الفصل الاول – الالزام – ان القرآن يتوجه الى النفس الانسانية باكملها، ويقدم اليها غذاء كاملا يستمد منه العقل والقلب نصيبا متساويا . إذ ان التمييز بين الخير والشرإلهام داخلى مركوز فى النفس الانسانية .

وحدد منهجه بعرض نظريات المدارس الاسلامية المشهورة ، وقارن نظام الاخلاق فى القرآن ببعض النظريات الغربية .

ويحثنا القرآن الكريم على ان نوجه أنظارنا الى السماء ، ونحن نستند على قواعد صلبة من الواقع. وهكذا يلتقى طرفا الخيط : صعود نحو المثل الاعلى وحفاظ على الفطرة ، خضوع للقانون وحرية للذات . علما بان الانسان مركب من علاقا ت متعددة – منها الحيوية والاسرية والاجتماعية والانسانية والربانية – وهى مؤهلة للتقدم بغير اهمال احداها على حساب الأخرى .

---

(٢٠١) أنظر الفصل الرابع – (النية والدوافع).

ولعل اهم ما يلفت اليه النظر فى هـذا الفصل ان القرآن الكريم يعنـى عنايـة فائقـة بربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمـة الاخلاقية التى يتأسس عليها .

***

الفصل الثانى – عن المسئولية :

قسم المسئولية الى ثلاثـة اقسـام : المسئولية الدينيـة ، والمسئولية الاجتماعيـة ، والمسئولية الاخلاقية الخالصة ، ذكرها القرآن فى آية واحدة بنفس الترتيب ﴿ يـا أيهـا الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون – الانفال ٢٧ ﴾.

وبعد استبعاد القرآن الكريم لخطيئة آدم عليه السلام ، يقرر المسئولية الفردية لكل انسان – مستبعدا كل مسئولية موروثـة او اجتماعيـة بمعناهـا الحقيقـى . وبعـد مناقشـات مستفيضة لدعاة الحتمية ، ومعارضيهم فى الفلسفة الغربية منتقلاً الى بحث قضيـة القضـاء والقدر بين المعتزلة واهل السنة والجماعة. يبين كيف حسم القرآن الكريم القضية بقولـه تعالى ﴿ إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم– الرعد ١١ ﴾ مفسراً هذه الآيـة بـان الله تعالى لا يفعل ذلك بمبادرة منه ، وإنما يجريه كاجراء مقابل ، وردّ على شئ من جانبنا .

***

الفصل الثالث – عن الجزاء :

يقسم انواع الجزءات الى اخلاقى وقانونى وإلهى ويقصد بالجزاء الاخلاقى تحقيق الشعور الداخلى بالمتعة أو الألم .. بشرط تدخل الجهد ويقدم التوبـة ويبين ثراءهـا فـى الإسلام إذ أن التوبة من خصائص الأخلاق الاسلامية ، لا تعرفها المذاهب الاخلاقية الاخـرى– حتى المثالية منها – فيعرفها الدكتور دراز بأنها واجب جديد – فوق مستوى الندم – يفرضـه علينـا الشـرع عن اى تقصير فـى الواجب .. ووظيفـة التوبـة وظيفـة إصلاحية فـى الأخـلاق الإسلامية ، ودورها العدول السريع عن الذنب ثم إصلاح الماضى والتخطيط لمستقبل أفضـل .. مع تكرار جهودنا بلا يأس – من أجل الإصلاح .. مشبهاً الشرع يسلّم درجاتـه على الارض ، يعدُ من يريدون الصعود ان يرفعهم الى السماء.

وبعد بيان محاسن الفضيلة وقبح الرذيلة، يشرح تفاصيل النظام العقابى فىالتشـريع الاسـلامى الـذى يميـز بين طبقتين مختلفتين "الحدود" التى حددهـا الشـرع بدقـة وصرامـــة ، " والتعزيرات " التى تركها لتقدير القاضى .

ويحسم المؤلف قضية ما يسميه بالضمير الاوروبى الذى ينزعج من إجراءات النظـام العقابى فى التشريع الإسلامى لعلاج الاضطراب فى سلوك الانسان . مبينـا ان الأمـة الاسـلامية

لم تكن تنقصها الرأفة والرحمة الانسانية ، ولكنها كانت تتجاوزهما بروح النظام والطاعة لحكم الله تعالى .. مدعما رأيه باحصائيات الجرائم ومبيناً آثار تطبيق الشريعة وآثار القانون الوضعي .. التي تثبت ان القسوة في حقيقتها هي قسوة نظرية، فمن الناحية العملية كلما كانت العقوبة اشد ، كلما قلت فرص تطبيقها والعكس صحيح ... فالحقيقة أنه – ليس الشرع – وإنما هوالفرد في نهاية الأمر هو الذي يكون قاسياً على نفسه ومفرطاً في حق انسانيته .

ويمضي المؤلف مع آيات القرآن الحكيم ليعرضها بمنهج إحصائي مذهل – يعكس مدى ماكابده من عناء (قبل ظهور الكمبيوتر) – ويبوبها بطريقة مبتكرة ليجمع الآيات القرآنية الشاملة للوصايا الايجابية والمحاسن الاخلاقية والفضائل والمحرمات .. والجزاء الإلهي في الحياة العاجلة وفي الحياة الآخرة للعقوبات المعنوية والمادية .. وهو حصر غير مسبوق ، لم يترك شاردة أو واردة إلا سجّلها فيستخلص منها المعنى ويضعه في الصدارة فيلفتك إلى لون من التفسير المؤثر الذي ينفذ إلى القلب والوجدان و يُعَدُّ من جوامع الكلم .. وذلك بعد عرض موضوعي للعقوبات والجوائز في (الكتاب المقدس) ، يوضح للقارئ كيف ان النظرية اليهودية ونقيضها النظرية المسيحية ، تتصالحان داخل دعوة القرآن في توافق وانسجام ..

ويطالب في النهاية المربي الناجح ان يلجأ الى اسلوب القرآن الكريم الذي يذكرنا دائماً بالنتائج الطبيعية المترتبة على سلوكنا .. ناقداً الاخلاق العلمانية .. ومفضلاً – بناء على الدراسة الاحصائية التحليلية – الاخلاق القرآنية التي تتجاوزها بشكل قاطع . ويغلق باب الجدل أمام الأخلاق العلمانية ..

***

الفصل الرابع – النية والدوافع :

بعد عرض عميق ومتابعة دقيقة ، يحثنا على التنقيب داخل انفسنا مع مداومة الحرص على تصحيح النية والسلوك معاً ، مع إعطاء القيمة للنية .. ويحسم الامر بقوله ان النية خير، والعمل القائم على النية الحسنة خير اكبر ، لأنه العمل الاخلاقي المتكامل .

كما ناقش النظام الاخلاقي العقلاني – مثل اخلاق قدماء الاغريق والرواقيين .. و" كانت " في العصر الحديث – باعتباره ممثلا للاتجاه المتشدد في الاخلاق العقلانية ، لأنه يرى في الواجب قانونا شكليا للعقل .. والانسان العقلاني يخضع للحكم من حيث طابعه الآمر فقط .. أما الذي يطيع الأمر وهو مدرك تمام عدله ومعقوليته، فانه يشعر تجاه الشرع بقدر

عظيم من الاعجاب والاحترام معاً. ثم يصدر حكمه على 'كانت' بانه قلد وجهة نظرالاخلاق الدينية بعد ان جردها من مادتها الحيوية .

ثم عرض آراء الاخلاقيين الاسلاميين، وضرب الامثلة التى تتباين فيها القيمة الاخلاقية تباين الليل والنهار واستخلص حقيقة الاخلاق الاسلامية .. ، وأوضح انها لا تستهدف فقط إقامة العدالة فى الدنيا ، وانما كذلك سمو اشخاصنا .. والارتفاع بها فوق المنافع الارضية والحياة الحيوانية ... وان الغاية العامة المقصودة من الشرع الاسلامى هى صحة النفس .. فان تقوى الله تعالى تتركز حولها تقريبا جميع الاحكام القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة...

***

الفصل الخامس – الجهد:

يوضح المؤلف ان القرآن الكريم يرشدنا ان الانسان كائن اخلاقى ، ناقص ولكنه – عن طريق العمل – قابل لاكتساب الكمال .. ويعرف المؤلف العمل بانه جهاد بقوة وإصرار.

وقد التقط المؤلف كلمات "الجهد والجهاد" من القرآن الكريم مقترنة بالأمر الإلهى فى الآيات الآمرة بالعمل "الفعال" ، مصوراً ما يكابده الانسان فى الحياة ، متحملاً المسئولية لتحقيق ما اسماه " الابداع الخيِّر " اى أن يبدع اعمال الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا .. ومهما قابله من عقبات .. كما انه ميّز بين جهد المدافعة التى يعارض بها الميول السيئة ، وجهد الابداع عملاً بالآيات القرآنية المعنية بهذا الواجب العام .. باستخدام الفعل " اعملوا " بدون مفعول لاستثارة همتنا بلا تحديد.

***

أما فيما يتعلق بالقسم العملى من الكتاب وهو " دستور الأخلاق العملية فى القرآن الكريم " ، والملحق فى نهاية هذا المجلد ، فقد اتبع فيه المؤلف – رحمه الله – منهج تبويب الآيات لاحسب ترتيب السور فى القرآن وإنما بمنهج منطقى ، وكان غرضه هنا هو إبراز إعجاز النظام الأخلاقى فى أنه يغطى نشاط الإنسان كله – فرداً كان ، أم أسرة ، أم جماعة ، أم دولة حيث يجد المسلم مايشبع حاجته فى مجال الأخلاق العملية.

***

ونرى من حق الاستاذ محمد عبد العظيم علي علينا التنويه بالدور الذى قام به فى تلخيص هذا السفر الضخم ، وقد عرفته عندما ترجم كتاب المستشرق الفرنسى هنرى لاووست (نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع)[1] . كما انه له باع طويل وخبرة عميقة اكتسبها من قيامه بترجمة عدة كتب قيمة من الفرنسية الى العربية ، وقد مكنته تجاربه فى الترجمة من الوقوف على المصطلحات والمفردات الفلسفية والاخلاقية .. فضلاً عما يتميز به كباحث صبور ذى جلد على العمل العلمى الدائم ابتغاء مرضاة الله ، فوفق الى نقل اصل الكتاب من أرفف مكتبات المتخصصين فى الدراسات الفلسفية والاخلاقية الى عامة القراء ، وحوله باختصاره الواعى الى دليل عملى ارشادى لكل مسلم .. ليجاهد نفسه كسباً للفضائل .. وتقوية للارادة .. ليسلك بها افضل المسالك طاعة لله عز وجل.

ولولا الحرص على الأمانة العلمية بالاحتفاظ بالعنوان الاصلى للكتاب ، لاقترحت عليه تعديل اسم الكتاب ليصبح (كيف تقتحم العقبة وتكتسب الفضائل الاخلاقية).

ونسال الله تعالى أن ينفع بهذا المختصر .. وأن يوفقنا جميعاً إلى صالح القول وخالص العمل .. والتحلى بمكارم الأخلاق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

مصطفى بن محمد حلمى

الاسكندرية فى ٢٠ ربيع الأول ١٤١٧ هـ

٥ أغسطس ١٩٩٦ م

---

[1] طبع الجزء الأول من هذا الكتاب عام ١٩٧٦ م والجزء الثانى عام ١٩٧٩م وسوف يتم نشر الطبعة الثانية لهما قريباً ان شاء الله مع الطبعة الأولى للجزء الثالث والأخير.

مقدمة المختصر

حصلت فى الستينات على النص الفرنسى لكتابى " الأخلاق فى القرآن " و "مدخل الى القرآن الكريم " من لجنة الفتاوى بالأزهر الشريف بمناسبة مشكلة عرضتها عليها ، ومن وقتها لم تفارقنى هذه الرسالة الرائعة . لأنها – بعد كتاب الله – من أحب الكتب إلى قلبى وأقربها إلى عقلى وأكثرها صحبة لى فى حياتى . ولقد كان حصولى على هذه الرسالة من اكبر نعم الله علىّ اذ فتحت أمامى عالما رحبا من الفكر والثقافة الاسلامية باللغة الفرنسية ، وهو المجال الذى كنت بدأت أطرقه لأعمل فى الترجمة فى الحقل الاسلامى .. فوجدت فيها ترجمات رائعة لأيات كثيرة وأحاديث نبوية عديدة وكمّ هائل من مصطلحات اسلامية وفلسفية وقانونية ودينية .. الخ افادتنى فى مجال الترجمة بما لم استفد به من أية دراسة ، فضلا عن اسلوب المؤلف بالفرنسية الذى يضارع أسلوب أى أديب فرنسى .

ثم شاءت الاقدار بعد ذلك أن التقيت بالأخ المرحوم/ أسعد سيد أحمد – أحد رواد النشر بالقاهرة – وكان مما تحادثنا فيه هذان الكتابان ، وكان من محاسن الصدف ان وجدته يفكر فى إعادة نشر مؤلفات عالمنا الجليل الدكتور محمد عبدالله دراز – المطبوعة باللغة العربية ونشر ترجمة لرسالة الدكتوراة .

وفى أول فرصة اتصل بى كمندوب لدار القلم بالكويت ، لأتولى ترجمة الرسالة الرئيسية " الأخلاق فى القرآن " فانطلقت فى الترجمة . وبعد شهور طلب منى انجاز ترجمة "مدخل إلى القرآن الكريم " اولاً .. فانتهيت منها بتوفيق الله فى شهر يونيو سنة ١٩٧٠ ونشرت فى نفس العام. وعدت الى ترجمة كتاب " الأخلاق فى القرآن " إلى أن ظهرت ترجمة الاستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين كاملة فطلب منى التوقف عن الترجمة لحين التوصل إلى قرار . وبعد ذلك تقرر نشر ترجمة الدكتور عبد الصبور فنشرت بعنوان " دستور الأخلاق فى القرآن " عام ١٩٧٣ .

وانشغلت بعد ذلك بأعمال كثيرة فى الترجمة ، إلى أن بلغتُ سن المعاش وبدأت اتفرغ لأحب الاعمال إلى نفسى . ولاحظت أن الاتجاه الجديد فى عالم النشر هو تلخيص الكتب الهامة وإعادة نشرها بأسلوب مبسط لإتاحة الفرصة لأكبر قطاع من القراء للاطلاع عليها والافادة ببحوثها .

وبعد تجربة لى ناجحة فى التلخيص ، خطرت لى فكرة تلخيص كتاب "دستور الاخلاق فى القرآن " و" مدخل القرآن الكريم " للاسباب الآتية :

١ – ان هذه الرسالة ثمرة جهد علامة وبحاثّه من طلائع ورواد الفكر الاسلامى فى القرن العشرين ظل هذا العلم محجوباً عن قراء العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى ظهور ترجمتى

لـ "مدخل الى القرآن الكريم " عام ١٩٧١ ، وترجمة الاستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين " دستور الأخلاق فى القرآن " عام ١٩٧٣ .

٢ - ان كتاب الأخلاق فى القرآن بمادته العلمية وتحليله ومناقشاته الاكاديمية وسعة حقل بحثه هو من الصعوبة بمكان . ثم جاء تعريبه . فلم ينل الكثير من الصعوبات ، مما قصر قراءة الكتاب المعرب والافادة منه على المتخصصين والباحثين بل على القلة القليلة منهم[١] وظل غيرهم من قراء العربية حتى يومنا هذا ، محرومين منه ومن مادته العلمية .

٣ - ان علاقتى بالنص الفرنسى لكتاب " الأخلاق فى القرآن " علاقة قديمة ترجع لأكثر من ٣٥ عاماً . إذ سبق أن ترجمت اجزاء منه وتكررت قراءتى له مرات ومرات اعجاباً به وتعمقاً فى دراسته واستفادة من أسلوبه الفرنسى الرفيع . فضلا عن ترجمة الرسالة الفرعية "مدخل إلى القرآن " . كل ذلك يسّر لى القيام بمهمة التلخيص من اجل أن يعم النفع بنتائج هذا البحث العظيم الذى لا يزال جديداً رغم السنين التى مرت عليه .

وكان منهجى فى هذا الجهد الجديد - المستقل تماماً فى معظمه - والذى أضفته إلى أصل هذا الكتاب الهام كالآتى :

* لما كانت غاية المؤلف عرض الوجه الحقيقى للاسلام ونظام فلسفة الاخلاق فى القرآن والسنة. فقد حافظت - فى المختصر - على هذا الجانب بصورته كاملة وفى أغلب تفاصيله حتى يستفيد منه قارئ العربية مع تلخيص ما رأيت تلخيصه .

* تركزت عملية الاختصار اكثر ما يكون فى المواضع التى تتعلق بالفلسفة وتاريخها وآراء الفلاسفة والنظريات الفلسفية ، وتاريخ الفكر الفلسفى ، وكذلك تاريخ وقضايا وخلافات المدارس والمذاهب الإسلامية الى الحد الذى لا غنى عنه .

* خففت من الاستدلالات المطولة الى القدر الضرورى مع التركيز على النتائج . وكذلك بالنسبة للاستطرادات فى الموضوعات الجانبية والثانوية والفرعية . مع تبسيط عرض الأمثلة واختصارها .

---

[١] هاهو أحد علمائنا الدكتور أحمد عبد الرحمن يكتب عرضا بعنوان " اول دراسة حول الاخلاق الاسلامية فى القرآن والسنة" عن كتاب " دستور الأخلاق فى القرآن " ويقول " ان الرسالة تضخمت تضخما هائلا فبلغت الترجمة العربية ٦٨٠ ص الامر الذى جعل قراءة الكتاب أمراً مرهقاً" (جريدة الشعب ١٩٩٥/٢/٩).

* وفى كل عملى فى المختصر كان الأصل الفرنسى والكتاب المعرب ومسودات ترجمتى السابقة لاجزاء من الكتاب . كل هذا كان أمامى اثناء التلخيص.. أقرأ ثلاثتها وأخرج من القراءة بأحسن ما أجد ترجمةً وصياغةً واختصاراً . فقد كنت اراجع النص الفرنسى على الكتاب المعرب وأعيد صياغة الترجمة أو أعيد ترجمة المقطع من جديد بحسب ما كنت أرى لازما ثم أقوم باختصار الموضوع طبقاً لمنهج الاختصار المذكور. مع الالتزام التام بمضمون الاصل الفرنسى.

* وفى اعادة الصياغة كنت أتوخى اختيار أيسر العبارات وأسهل الجمل وأبسط التراكيب ، وأقصر طرق الربط بين الجمل والأفكار متلافياً كثرة الجمل الاعتراضية والألفاظ الثقيلة والصياغات القديمة والبعد عن حرفية الترجمة لتكون الجمل سهلة وسلسلة ومتدفقة ، والمعنى واضحاً لا لبس فيه ، فلا يحتاج القارئ إلى اعادة قراءة الجملة ليفهم المقصود.

* وهناك مقتطفات من كتب المؤلفين والأخلاقيين الاسلاميين كان المؤلف قد لخصها فى النص الفرنسى ، وكان المعرب قد أثبت نصها العربى الاصلى الكامل من ذات المراجع ، ونظراً لقدم اسلوب هذه النصوص فقد اكتنفها الغموض الشديد ، فآثرت ترجمة الملخص – الذى أورده المؤلف بالأصل الفرنسى – باسلوب عربى عصرى يتمشى مع اسلوب "المختصر" حرصا على وضوح المعنى ، تاركاً لمن أراد الاطلاع على النص الأصلى فرصة الرجوع الى الكتاب المعرب أو الى المراجع الاسلامية ذاتها.

* لم اثبت فى المختصر سند الأحاديث النبوية – التى أوردها المؤلف فى المتن الفرنسى بنصها العربى – باعتبار انها موثقة فى الاصل الفرنسى بمعرفة المؤلف ومنقولة مع النص المعرب. ولم اثبت كذلك من هوامش المؤلف إلا ما لا غنى عنه . فى حين أضفت بأحد الهوامش مقتبسات من "مختصر القضاء والقدر فى الكتاب والسنة " للاستاذ الدكتور فاروق دسوقى والذى قمت بتلخيصه ، وذلك تحقيقاً للفائدة فى موضوع القضاء والقدر. ولتوضيح نقاط أوجزها المؤلف فى المتن الفرنسى إيجازا شديدا ..

* اتبعت خطة مختلفة فى إثبات الآيات القرآنية فى الفصل الثالث (الجزاء) موضحة فى موضعها .

* أضفت المراجع العربية والأجنبية التى كانت قد سقطت من الأصل المعرب .

* ترجمت الفهرس التحليلى للقسمين (النظرى والعملى) طبقاً للنص الفرنسى ، بتفاصيلهما تحقيقاً للفائدة ولسهولة الرجوع إلى الموضوعات . حيث لم يثبت بالتعريب سوى عناوين الفصول الرئيسية فقط.

* صححت كثيرا من أسماء السور وأرقام الآيات وخاصة بفصل الجزاء.

* وفى كتاب "الاخلاق العملية فى القرآن " عدلت ترجمة كثير من عناوين الموضوعات التزاما بالنص الفرنسى وأضفت ترجمة عدة عناوين سقطت ربما نتيجة أخطاء مطبعية. كما اضفت أسماء السور وأرقام الآيات فى متن الكتاب فى نهاية الآيات. واختصرت عدة هوامش للمؤلف.

كم نحن فى حاجة ماسة إلى " الاخلاق " علماً وعملاً فى كل شئون حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. فضلا عن سلوك الافراد والجماعات والهيئات والحكومات ، فان إتمام مكارم الاخلاق كان الهدف الرئيسى من بعثة محمد بن عبد الله ﷺ .

وهذا الكتاب منهاج كامل - علمى وعملى - لحركة إصلاح أخلاقية ، وهو ثمرة بحوث واسعة النطاق لم تترك صغيرة ولاكبيرة تتصل بعلم الأخلاق - شرقا وغربا - فى أية ثقافة أو حضارة أو دين إلا وزنها المؤلف بميزان القرآن وعرضها عرضا أكاديمياً أميناً وبنّاءً من اجل خير الانسانية جمعاء.، وأولى الناس بالأخذ بهذا المنهج عالم العروبة والإسلام امتثالاً لأمر الله تعالى واتباعاً لسنة نبيه الكريم ﷺ ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾

"اللهم انا نعوذ بك من ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لانعلمه"

محمد عبد العظيم على

الاسكندرية فى ٧ ربيع الأول ١٤١٧ هـ

٢٣ يوليو ١٩٩٦ م